

حياة في جزيرة

الكاتب



حسن مدن

يبدو العيش في جزيرة صغيرة، هادئة، غير مكتظة، بعيداً عن ضجيج المدن وصخبها، حلمًا للكثيرين، وما أكثر من اختاروا أن يفعلوا ذلك بعد أن سئموا متاعب المدن وازدحامها، وما أكثر ما كان العيش في واحدة من مثل هذه الجزر موضوعاً للعديد من الأعمال الأدبية والأفلام السينمائية. وهذا ما فعله فيلم «جنيّات إينشيرين»، الذي رشح لعدة جوائز أوسكار، بينها أفضل فيلم، من إخراج الأيرلندي مارتن ماكдона، وبطولة الممثلين كولن فاريل وبريندان غليسون، وتدور أحداثه في عشرينات القرن الماضي، في جزيرة خلابة في غرب أيرلندا، يعيش سكانها حياة بسيطة متواضعة، حيث لا عربات، ولا سيارات، ولا أضواء ساطعة في الليل.

غير بعيد عن الجزيرة، على الساحل، تدور حرب أهلية طاحنة، بين الجيش الجمهوري الأيرلندي، والحكومة المؤقتة، يُقتل فيها من يُقتل، ويُصاب من يصاب، ويُدمّر ما يُدمّر، ورغم أن أحاديث، تبدو عابرة، تدور بين السكان عن هذه الحرب، وقد يصل دوي بعض انفجاراتها إلى أسماعهم، لكنهم لا يبدون معنيين بأمرها، ولا مكترئين بمآلاتها، كأن جزيرتهم ليست جزءاً من البلد الذي تدور فيه هذه الحرب، وأنهم جزء من أهلها.

تتمحور أحداث الفيلم حول شخصيتين رئيسيتين، الأولى بادريك الذي أدى دوره، كولن فاريل، الذي يعيش مع شقيقته شيبون التي أدت دورها كيري كوندون، في منزل بسيط مجاور للبحر، يشاركهما العيش فيه حمار وأبقار. وليس المنزل وحده هو البسيط، وإنما مجمل الحياة التي يعيشها الرجل، البسيط جداً بدوره، التي لا يكسر رتابتها سوى علاقته بكولم المأخوذ بتأليف الموسيقى وعزفها، وأدى دوره بريندان غليسون، حيث يلتقيان كل مساء للثرثرة في الحانة الوحيدة في مكان عيشهما، قبل أن يفاجئ الموسيقى صاحبه البسيط، والثرثار جداً، بأنه لا يرغب في صحبته ولا الحديث معه بعد اليوم، وأنه يريد الانكفاء على نفسه والتفرغ لموسيقاه.

هنا يبدأ الفصل الأكثر إثارة في الفيلم. لا يفهم الثاني قرار الأول بقطع علاقتهما، لكنه لا يستسلم لهذه الرغبة، ويبدل ما في وسعه لكسر قراره، بالتطفل عليه ومحاولة استدراجه لمعاودة التحدث معه، ما جعل الموسيقى يهدده بأنه سيضطر

لقطع أصابع يده، وهو العازف الذي لا غنى له عنها، ولكنه ينفذ تهديده بالفعل، ويرمي أول إصبع قطعه على باب صديقه ونديمه بادريك، الثرثار.

لا ينتهي الفيلم بذلك، بل تليه أحداث ليست أقل إثارة، ما يحمل المشاهد على السؤال: أكون الخلاف بين الصديقين حرباً أخرى داخل النفس الإنسانية، تتزامن مع الحرب الطاحنة الدائرة على الساحل غير البعيد عن الجزيرة؟

madanbahrain@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2023